

النَّقَائِضُ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ أ.د. هدى هادي عباس

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ النَّقَائِضِ

النَّقَائِضُ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ أَزْدَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، يَقُومُ عَلَى أَنْ يَنْظُمَ شَاعِرٌ قَصِيدَةً فِي الْفَخْرِ بِنَفْسِهِ وَقَوْمِهِ وَهَجَاءَ خَصْمِهِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ شَاعِرٌ آخَرُ بِقَصِيدَةٍ يَنْقُضُ فِيهَا مَعَانِيَهُ، مَلْتَزِمًا الْبَحْرَ الشَّعْرِيَّ نَفْسَهُ وَالْقَافِيَةَ وَالرَّوْيَ نَفْسِيهِمَا.

وَسُمِّيَ هَذَا الْفَنُّ النَّقَائِضَ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَاعِرٍ يَحَاوِلُ أَنْ يَنْقُضَ مَا قَالَهُ خَصْمُهُ، فَيُهْدَمُ فَخْرُهُ، وَيَرُدُّ هَجَاءَهُ عَلَيْهِ، وَيَفْتَخِرُ بِنَفْسِهِ وَقَوْمِهِ.

وَمِنْ أَشْهَرِ شُعَرَاءِ النَّقَائِضِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ: جَرِيرٌ، وَالْفَرَزْدَقُ، وَالْأَخْطَلُ، غَيْرَ أَنَّ النَّقَائِضَ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ كَانَتْ أَشْهَرَهَا وَأَطْوَلَهَا عُمُرًا.

ثَانِيًا: أَسْبَابُ ازْدِهَارِ شِعْرِ النَّقَائِضِ

ازْدَهَرَ شِعْرُ النَّقَائِضِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ لِأَسْبَابٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

{1} استمرارُ العصبية القبلية التي كانت معروفةً في العصر الجاهلي.

{2} التنافسُ بين القبائل في الفخر بالأحساب والأنساب والأُمجاد.

{3} التنافسُ الشخصي بين الشعراء، وَرَغْبَةُ كُلِّ شَاعِرٍ فِي إِثْبَاتِ تَفُوقِهِ عَلَى خَصْمِهِ.

{4} تشجيعُ الناسِ لهذا اللونِ من الشعر، وإقبالُهم على سماعِ المناقضات الشعرية وحفظها وروايتها.

{5} الحياةُ السياسية والاجتماعية في العصر الأموي وما شهدته من خصوماتٍ وصراعاتٍ مختلفة.

ثَالِثًا: جَرِيرٌ

هو جرير بن عطية بن الخطّفى التميمي، أبو حَزْرَة، أحد أشهر شعراء العصر الأموي، وُلِدَ في اليمامة نحو سنة 33هـ، وتُوفِّي سنة 110هـ تقريبًا.

نشأ جرير في بيئة بدوية، وكان من قبيلة تميم، وعُرف بقوة شاعريته وسرعة بديهته وقدرته الكبيرة على الهجاء. وقد خاض معارك شعرية طويلة مع عدد من شعراء عصره، وكان أشهر خصومه الفرزدق والأخطل.

برع جرير في أغراض شعرية متعددة، منها الهجاء، والفخر، والمدح، والغزل، والثناء، واشتهر خاصةً بسهولة ألفاظه وعذوبة أسلوبه، ولا سيما في الغزل.

واستمرت الخصومة الشعرية بينه وبين الفرزدق نحو أربعين عامًا، فكان أحدهما يقول قصيدة، فيردُّ الآخر عليها ناقضًا معانيها.

من أشهر أبيات جرير في هجاء الفرزدق وقومه:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ

فَلَا كَغَبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

أَتَعْدِلُ دَارِمًا بِنَنِي نُمَيْرٍ

وَهَلْ يُعْدِلُ خَبِيثٌ بِطَيِّبٍ

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ

حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا

وفي هذه الأبيات يظهر الهجاء القبلي المقترن بالفخر؛ إذ يحطُّ جرير من شأن خصومه، وفي الوقت نفسه يرفع شأن قبيلته تميم.

رَابِعًا: الْفَرَزْدَقُ

هو هَمَّام بن غالب بن صَعَصَعَة الدارمي التميمي، ولقبه الفرزدق، وهو من كبار شعراء العصر الأموي. وُلِدَ في البصرة نحو سنة 20هـ، وتُوفِّي سنة 110هـ تقريبًا.

ينتمي الفرزدق إلى أسرة ذات مكانة وشرف في قبيلة تميم، وكان أبوه غالباً من سادات قومه، وكان جدّه صعصعة معروفاً بمكارم الأخلاق.

نشأ الفرزدق في البصرة، واتصل بخلفاء بني أمية وولاتهم، ومدح عدداً منهم. وتميّز شعره بقوة الألفاظ وجزالة الأسلوب وكثرة الفخر بالأنساب والأُمجاد القبلية، حتى أصبح شعره مصدراً مهماً لحفظ كثير من أخبار العرب وأنسابهم ولغتهم.

وكانت بينه وبين جرير خصومة شعرية طويلة، تبادل خلالها الشاعران الهجاء والفخر، وأصبح شعرهما من أبرز ما يمثل فنّ النقائض في الأدب العربي.

ومن هجاء الفرزدق لجرير قوله:

يا ابنَ المَراغةِ أينَ خالُكَ إِنني

خالي حُبَيْشٌ ذو الفَعَالِ الأفضَلِ

وَرِثَ المَكارِمَ كابرًا عَن كابرٍ

ضَرَبَ الفُداحَ وَشِدَّةً في المَحْمَلِ

إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنى لَنَا

بَيْتًا دَعائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطوْلُ

ويقوم شعر الفرزدق في كثير من نقائضه على الجمع بين هجاء جرير والفخر بنفسه وبآبائه وقبيلته، وهو من أبرز الأساليب التي قام عليها شعر النقائض.

خامساً: مُميّزاتُ شِعْرِ النِّقائِضِ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ

تميّز شعر النقائض بين جرير والفرزدق بعددٍ من الخصائص:

{1} وحدة الوزن والقافية: كان الشاعر الذي يردُّ على خصمه يلتزم غالباً بالبحر والقافية والرويّ التي جاءت عليها قصيدة الخصم.

{2} نقضُ المعاني: إذا افتخر أحدهما بفضيلةٍ أو مكرمةٍ، حاول الآخر إبطالَ هذا الفخر وتحويله إلى مثلبة.

{3} الجمعُ بين الفخر والهجاء: فالشاعر لا يكتفي بهجاء خصمه، بل يقابل ذلك بالفخر بنفسه وقبيلته وآبائه.

{4} العنايةُ بالأنساب والأيام: اشتملت النقائض على كثير من أنساب القبائل وأيام العرب وحروبهم وأخبارهم، ولذلك أصبحت ذات قيمةٍ تاريخية واجتماعية إلى جانب قيمتها الأدبية.

{5} قوةُ الهجاء: اتسمت النقائض بالهجاء الشديد، وتتبعُ الشاعر لمثالب خصمه وقبيلته.

{6} الحوار الشعري: تبدو النقائض كأنها مناظرةٌ أو معركةٌ أدبية؛ يقول أحد الشعارين قصيدةً، ثم يأتي الآخر ليردَّ عليها ويفنِّد معانيها.

{7} طولُ النَّفس الشعري: كثيرٌ من قصائد النقائض طويلة؛ لأن الشاعر يحتاج إلى الرد على مفاخر خصمه وذكر مفاخره ومفاخر قبيلته.

{8} جزالةُ اللغة: حافظت النقائض على كثير من الألفاظ والتراكيب العربية الفصيحة، ولا سيما الألفاظ البدوية والقبلية.

سادساً: الفرقُ بينُ أسلوبِ جريرِ والفرزدقِ

يمتاز جرير بسهولة الألفاظ، ورقةُ الأسلوب، وسرعةُ البديهة، وقوةُ الهجاء، والقدرة على إصابة خصمه بالبيت السهل الذي يشيع بين الناس ويحفظونه.

أما الفرزدق فيمتاز بجزالة الألفاظ، وقوة التراكيب، والاعتداد بالنسب، وكثرة الاستناد إلى أمجاد الآباء والقبيلة، ولذلك يبدو شعره في كثير من المواضع أقرب إلى طريقة الشعراء الجاهليين في الفخر واللغة.

سابعاً: القيمةُ الأدبيةُ والتاريخيةُ للنقائضِ

لا تقتصر قيمة النقائض على الهجاء والفخر، بل تُعدُّ سجلاً مهمًّا للحياة العربية في العصر الأموي؛ فقد حفظت كثيرًا من الأنساب، وأيام العرب، وأخبار القبائل، وعادات المجتمع، والقيم السائدة فيه.

كما أسهمت في إثراء اللغة العربية؛ لما اشتملت عليه من ثروة لغوية كبيرة، وأساليب فصيحة، وتراكيب وصور شعرية متنوعة.

وبذلك تمثل نقائض جرير والفرزدق ظاهرةً أدبيةً بارزةً في الشعر الأموي، جمعت بين المنافسة الشخصية والعصبية القبلية والفن الشعري، وأنتجت تراثًا شعريًا واسعًا ظلَّ حاضرًا في كتب الأدب واللغة والنقد.

هجاء الفرزدق لجرير

الشرط الأول

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ وَمَا بَنَى
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ
يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وَإِذَا احْتَبَوْا
لَا يَحْتَبِي بِفَنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ
مَنْ عَزَّهِمْ جَحَرَتْ كُلُّيْبُ بَيْتِهَا

الشرط الثاني

بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ
وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
بَرَزُوا كَأَنَّهُمْ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ
أَبَدًا إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ
زَرْبًا كَأَنَّهُمْ لَدَيْهِ الْقَمَلُ

هجاء جرير للفرزدق

أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي

فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ

وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِ

وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ

بَيْتاً يُحْمَمُ قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ

دَنَساً مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الْمَدْخَلِ

وَلَقَدْ بَنَيْتَ أَحْسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى

فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ بِمِثْلِي يَذْبُلِ